المتخيل والاسطوغرافيا في روايات شرق الفوضى

روايتا " بغداد مارلبورو" وأثم سارة" لنجم والي انموذجا

م.د :عالية خليل إبراهيم
كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

المقدمة:

مهدت مناهج ظاهراتية القراءة والتأويل" الهيرمينوطيقا" والسيميائيات التأويلية ونظريات تحليل الخطاب الأرضية لتواشج العلوم الإنسانية وتقارب وجهات النظر في دراسة فرضياتها ومخرجاتها الأمر الذي فتح الأبواب واسعة لانحلال الحدود بين الكتابة الأدبية ممثلة بالرواية وبين الكتابة في التخصصات الإنسانية المجاورة لا سيما التاريخ والأنثروبولوجيا، يندرج البحث ضمن جهود قراءة وتفسير ظاهرة أضحت علامة شاخصة في الرواية العراقية المعاصرة الا وهي مساهمة الرواية في كتابة تاريخ العراق والشرق الأوسط بمنطلقات مغايرة للسرد التاريخي التقليدي ذي البعد الأيديولوجي الواحد لتؤسس لرواية الإنسان والجماعات مستندة إلى معطيات الذاكرة الدلالية الفردية منها والجماعية وإمكانيات السرد الشكلية والمعرفية وطاقته التخيلية في كتابة تدمج التاريخ بالمتخيل وما يكتنزه من قوة جمالية وإبداعية . فضلت اطلاق تسمية "شرق الفوضى" على الشرق الأوسط نسبة إلى نظرية " الفوضى الخلاقة" للسياسيين الأمريكيين الذين أطلق عليهم(المحافظون الجدد) وقد دعا هؤلاء الى تأسيس شرق أوسط جديد(ديمقراطي وتعددي) ولو جاء ذلك بهيمنة جديدة يفتت تلك الدول ويزرع الكراهية والاقتتال الطائفي والعرقي بين مكوناتها. يكتب "نجم والي" رواية الشرق الأوسط الجديد بشكل يجمع بين تاريخ الوثيقة والاعتراف الذاتي وبين إمكانيات التحبيك السردي الذي يتميز بسيولته الزمنية وذاكرته العاطفية المخاتلة وتقلبات فواعله حيث يضمن تعدد المسارات بين الممكن التاريخي وأفق الانتظار المتخيل في المستقبل، وقد اتضح ذلك جليا في روايتيه" بغداد مالبورو" و" إثم سارة" وهما مكملتان لبعضها في الموضوع والرؤية الفكرية والبنية السردي

توطئة: التاريخ، الأسطوغرافيا، الذاكرة، الوثيقة

التاريخ :علم دراسة الماضي بناء على وثائق وشهادات ،هذا العلم له علاقة وثيقة بالسرد لأنه بالأصل تاريخ لمن رأى أو سمع فضلا عن اشتراك التاريخ والسرد في الاهتمام بالحوادث وترتيبها الزمني([١]). يحمل تعريف التاريخ بأنه علم في طياته اشكاليات بنيوية أساسية عن طبيعة العلاقة بين الماضي والحاضر، العلم والأدب، الطبيعي والمعيش، الزمن التقويمي والزمن اللغوي، تلك الإشكاليات طرحتها وبقوة مدرسة المؤرخين الجدد الفرنسية التي تصدت لدراسة فلسفة التاريخ منذ اصدار مجلة" الحوليات" ١٩٢٩ لكنها لم تتخذ منعطفا مغايرا تماما للتاريخ الرسمي إلا بعد الحرب العالمية الثانية وتداعيتها والتي كشفت زيف شعارات العالم الغربي الرأسمالي الداعية للحرية والديمقراطية وحقوق الانسان خاصة بعد تفجير القنبلة النووية على هيروشيما .مع هذه المدرسة اكتسب موضوع "الاسطوغرافيا" عناية واسعة ، وقد يعني هذا المصطلح من جملة ما يشير إليه "تأريخ كتابة التاريخ وعمليات البحث والاستقصاء فيه"([٢])،من رواد هذه المدرسة "جاك لوكوف" يقول: " إلى جانب التاريخ السياسي والتاريخ الثقافي ولد تاريخ التصور وتزيا بأشكال شتى مثل تاريخ المفاهيم المجتمعية الشاملة وتاريخ البنى الذهنية المشتركة لفئة اجتماعية معينة ،تاريخ المتخيل الذي يمكن من معالجة الوثيقة الأدبية والفنية كوثيقتين تاريخيتين مستقلتين تماما"([٣]) .

وقد تحدث" بول ريكور" عن مساهمة المتخيل القصصي في تأسيس وعي جديد بالتاريخ والواقع السياسيين من خلال توسيع موضوعة الحبكة الارسطية إلى مجال "الأسطوغرافيا" بحيث ينضاف التفسير التاريخي إلى الفهم السردي مما "يجعل المحكي أفضل مما سبق"([٤]).

يعد (فرانسوا دوس) أحد المنظرين للأسطوغرافيا الفرنسية ومن المتأثرين بمنهج "ريكور" الذي دعا لضرورة ردم الهوة بين الفلسفة والتاريخ وبين الحوليات وذاكرة الأفراد والجماعات في أبعادها الفسيولوجية والنفسية والإبداعية، يقول دوس:" أعتقد بالفعل أننا في عصر هيرمينوطيقا الكتابة التاريخية ومعنى تحبيذ التعددية في رؤية المؤرخ للعملية التاريخية"([٥]).

في مقدمة كتابه "التاريخي والسردي في الرواية العربية" يشرح الناقد (فاضل ثامر) جدلية العلاقة بين المرجعي والمتخيل بإلقاء نظرة على آراء ثلاثة من المفكرين الغربيين هم(لندا هتشيون)و(هايدن وايت)

و(براندا مارشال) يشير هؤلاء إلى أن سياسة ما بعد الحداثة لم تعد تعير تلك الأهمية للتباعد بين السياسي والاستطيقي بناء على ذلك نحتت(لندا هتشيون) مصطلح" الميتا رواية التاريخية " يرفض كاتب الميتا رواية التاريخية التواريخ الرسمية والسرديات الكبرى ويؤسس بدلا منها تأريخ الذاكرة المضادة" إنه ينتج الماضي مشاركا مسائلا ومستجوبا إذ يصبح مشروع كاتب الميتا رواية هو مشروع (فوكو) للذاكرة المضادة، وكلاهما تاريخي وسياسي"([٦]).

درس(هايدن وايت) أعمال المؤرخين من زاوية البلاغة والخطاب السردي، فالمؤرخون يختارون بين ثلاث استراتيجيات خطابية في الكتابة ،التفسير المبني على برهان شكلي، التفسير المبني على حبكة، التفسير المبني على انتماء أيديولوجي ([٧]). يبدو لي وبناءً على ما سبق من آراء أن التاريخ قد غادر موقعه التقليدي بوصفه تاريخا سياسيا للأمم وأخذ يقترب من نظرية الخطاب المنفتحة على مختلف سرديات العلوم الانسانية شيئا فشيئا، وبالمقابل من ذلك أخذ المتخيل السردي" القصصي" يغير موقعه النصي الخطابي المحض محاولا الاقتراب من الفعل الذي هدفه ليس الماضي بل المستقبل" الماضي هو إعادة تأويل مستمرة وله مستقبل يشكل جزءا دالا لا يتجزأ من التاريخ، وهذا صحيح لأن تقدم الطرق والتقنيات يتيح الظن في أن جزءا من وثائق الماضي بحاجة إلى اكتشاف"([٨]). يحيلنا هذا المقتبس إلى أهمية الوثيقة التي تشمل القول والصورة والنصوص لتعبر عن قدرة مجتمع الماضي على التحكم بالذاكرة والمستقبل.

تمثل الوثائق في الوقت الراهن مجالا خصبا لمعرفة الماضي والتنبؤ بالمستقبل خاصة بعد تطور علوم الاحصاء والحاسوب ومجالات" السبرنطيقا" التي تعني دراسة العقل البشري بمقارنتها بفاعلية الات الحاسبة"([٩])،فهنا لا نقارب الوثيقة بوصفها مخطوطة أو أثرا ملموسا وإنما نتحدث عن وثيقة العقل الالكتروني مثل (وثائق ويكليكس) ([١٠])،وقد ذكر المؤلف تلك الوثائق في الصفحات الأخيرة من روايته(بغداد مارلبورو) أما الذاكرة فهي" مجموعة الوظائف النفسية التي يستطيع الانسان بفضلها أن يحين عددا من المعلومات والانطباعات التي يتصورها الانسان منصرمة".([١١]) هذا من الناحية الفسيولوجية أما الثقافية فتعني الذاكرة فعل التذكر الواعي باعتباره نوعا من إعادة عرض الفعل وفق ترتيب معين مع عدم استبعاد تأثير طاقة المخيلة على الذاكرة والتذكر.

المبحث الأول :" بغداد مارلبورو" و" اثم سارة" اسطوغرافيا الجحيم

صدرت رواية " بغداد مارلبورو ٢٠١٢ و فازت بجائزة " برنو كرايسكي" للكتاب السياسي في السويد سنة ٢٠١٤، وبعد "هل تعد الرواية حاليا بمثابة كتاب سياسي؟" هذا سؤال مهم يصح مدخلا لدراسة علاقة التاريخي بالمتخيل في هذه البحث. وصدر الجزء الثاني من الرواية أو تتمتها "اثم سارة" ٢٠١٨.

" بغداد مارلبورو" هي الرواية السادسة للمؤلف، والثالثة التي أصدرها بعد ٢٠٠٣ إذ أصدر قبل هذا التاريخ ثلاث روايات تحدثت جميعها عن سنوات الجمر التي عصفت بالعراق منذ ٨ أيلول تاريخ بدأ الحرب العراقية –الايرانية التي لم تكد تنطفأ نارها حتى اندلعت أخرى وأخرى بعدها. إن عملية التذكر كما يقول (بيير جانيه):هي" سوق قصة سردية تستهدف توصيل معلومة إلى الاخرين في أثناء غياب الحدث أو الموضوع المستهدف"([١٢])،وعندما تتجسد الذاكرة على شكل قصة مسرودة فإنها ستقع في حبائل الخيال الذي يعد جزءا من بنيان الذاكرة وخاصية بنيوية لتشييد الحبكة السردية.

(نجم والي) روائي ذاكراتي بامتياز لأنه اغترب مبكرا ١٩٨٠ فقد غادر منطقة العيان والمشاهدة إلى منطقة الاستعارة والرمز حيث الذاكرة بشقيها الاسترجاعي والمتخيل ويعد نفسه مسؤولا عن رواية قصة البلاد ونقد تاريخها ووصف معاناة شخصياتها عبر الذاكرة ومن خلالها فدائما ما يردد في رواياته عبارة" شكرا لذاكرة لا تحترق ولا تشيخ"([١٣]).

ما يميز هذه الرواية عن سابقاتها بالأخص رواية (ملائكة الجنوب)([١٤])،هو نضوج منهجية المؤلف في التعاطي مع كتابة الذاكرة شكليا ودلاليا، والشيء المهم الاخر أن المؤلف أخذ يكتب عن تاريخ منطقة الشرق الأوسط منطقة دول الخليج تحديدا وليس عن العراق وتاريخه كما جاءت رواياته الخمس قبل وبعد ٢٠٠٣ ،يعد هذا التوجه مبادرة تجديدية تحاول أن تقدم رؤية تاريخية فيها اتساع وشمولية في فهم ما يجري من أحداث وتحولات سياسية عاصفة مع الاستمرار في وضع العراق في قلب تلك التحولات والمركز الذي تشع منه التغييرات في تاريخ المنطقة وفي الكتابة الابداعية.

تحيلنا كتابة الذاكرة إلى موضوعة الهوية وإشكالياتها حيث جعلت الذاكرة معيار الهوية هذا ما يقوله "بول ريكور" ومن قبله" جون لوك"، فالتأليف السردي يضمن استمرارية الذات في الزمن، هذه

الذات غالبا ما تكون مسكونة بالغيرية" الذات عينها هي الاخر"،[١٥] يجمع المؤلف في الرواية بين مصائر شخصيات من هويات واثنيات مختلفة جمعتهم "الكولونيالية "الاميركية الجديدة متمثلة في حروب اعادة تقسيم خارطة الشرق الأوسط منذ حرب تحرير الكويت ١٩٩١ وما تلاها من صراعات وحروب لم يخمد اوارها حتى كتابة هذه الأوراق.

تبدأ الرواية من حيث انتهت الحكاية ،الراوي /البطل في المنفى يستعيد شريط ذكرياته في بلده العراق من خلال الكتابة معرفا نفسه للقارئ بالمكان الذي ولد فيه ولم يذكر اسمه ولقبه ربما لأن (المحتد والبيئة) في العراق هما من تمنحا الشخصية هويتها وليس الاسم الذي يعد المؤشر الأول للذات " أنا الذي ولدت في مدينة صغيرة على ضفاف نهر الفرات غرب العراق ونشأت لاحقا على ضفاف دجلة في بغداد".([١٦]) ،يبدأ الراوي سرد روايته بداية من لقاءه بصديق حياته الشاعر (سلمان ماضي) من مدينة الناصرية جنوبا ينتمي لظاهرة الشعراء الصعاليك يمثل هؤلاء الشعراء والأدباء موجة برزت في الحياة الثقافية العراقية منذ ستينيات القرن العشرين اغلبهم من اليساريين وتميز سلوكهم بالفوضوية والعزلة واللامبالاة ونبذ التقاليد الاجتماعية والتهكم من السياسة والدين وقد انعكس ذلك على نصوصهم الشعرية التي امتازت بالحداثة والتجريب من أبرز هؤلاء الشعراء الصعاليك (جان دمو) و(عقيل علي) و(كزار حنتوش).

يؤرخ الراوي للشعر العراقي في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين من خلال سرد حكايته مع صديقه في ذلك الوقت، يقول الراوي" في مقهى حسن عجمي ليس غيرها المقهى التي تحولت منذ أواسط الثمانينيات ومنذ إغلاق المقهى القريبة منها، مقهى البرلمان التي حولتها سلطات الأمن إلى مطعم للدجاج إلى مقر يومي يلتقي فيه أولئك الذين أطلقوا على أنفسهم بالأدباء".([١٧]) زمان لقاء الصديقين هو شتاء ١٩٨٤ الحرب العراقية –الايرانية في اشد ضراوتها، والمكان قاطع السليمانية شمالا في سد دوكان تحديدا، تجمع الصديقين كراهيتهم للحرب والنظام الذي تسبب بإشعالها، وتجمع بينهما أيضا محبة القراءة والشعر ،الولع بالشراب، والاهتمام بروايات أديب مغترب يدعى(هارون والي) المؤلف الضمني الخطابي قناع المؤلف الحقيقي الذي نجده حاضرا معنويا مع شخصياته يحبك صوغ الأحداث ويكسر ايهام القص من خلال هدم الجدار الرابع كالذي يحدث في "مسرح بريخت" الملحمي،

فالسرد المتخيل– السير ذاتي الذي يضمنه المؤلف اجزاءً من سيرته الذاتية وترحاله في العواصم والبلدان يعد جزءا من كتابة الذاكرة، تمثل" السيرة الذاتية فن الذاكرة بامتياز مثلما تكون مركز حضورها الفاعل وهي تسعى لكتابة التاريخ الشخصي لصاحبها".([١٨]) يحبك المؤلف سيرته مع قص شخصياته من خلال حوار(سلمان ماضي) مع صديقه الراوي :" رفع رأسه وأشار إلى مكان منخفض في جبهته، قال أنهم اقتادوه ذات يوم إلى دائرة الاستخبارات في وزارة الدفاع في باب المعظم خلف الجامع الذي بنوه هنالك للتمويه على أقبية التعذيب طلبوا منه أن يعترف بعلاقته بالمعارضين وأن يشي بأصدقائه الذين كانوا بالنسبة لهم شيوعيين"([١٩])،إن الذي احتجز في دائرة الاستخبارات ليس سوى(نجم والي) وقد ذكر ذلك في حواراته الصحفية وفي الغلاف الخلفي لهذه الرواية مع البطاقة التعريفية للمؤلف.

ينضم لهؤلاء الثلاثة الضابط أو الأميركي الأسود (دانييل بروكس) شخصية محبة للسلام تنشد العدل عمل في القاعدة الأميركية في العربية السعودية المشيدة في المنطقة الشرقية من المملكة في محافظة (الظهران) تحديدا، هنالك نتعرف على مقاول سعودي يدعى(غازي الجاسي) له طفلة اسمها (سارة) هي التي سوف تكون الشخصية الرئيسية في رواية(اثم سارة)، سارة ووالدها صديقان للأميركي الأسود وهي تعطيه دروس في اللغة العربية حتى تمكن من إجادتها وتحدث العربية ،شارك(دانييل بروكس) في حرب الخليج الثانية وقد اضطرته ظروف الحرب لارتكاب جريمة دفن جنود عراقيين وهم أحياء في معركة الخفجي بأمر من ضابط أعلى منه رتبة في الجيش. ظل الضابط بعد هذه الجريمة يعاني شعورا جارفا بالخزي والاثم جعلته يشعر بآصرة انتماء وتضامن مع المهمشين ضحايا الديكتاتورية وشيوخ النفط والاستعمار الأميركي الجديد ومنهم الراوي وزوجته (أزهار)و صديقه الشاعر وزوجته (نخيل) وأبنهما آدم والغانية الفقيرة(أحلام)،فالكولونيالية الأميركية الجديدة تريد أن تفرض الديمقراطية والمساواة في بلدان الشرق الأوسط مع أنها من داخلها تتآكلها التفرقة العنصرية بين البيض والسود وتسيطر على قادتها أوهام قوة وهيمنة العرق الأبيض على الأمم والشعوب.

يحضر (دانييل بروكس) إلى بغداد بعد سقوط التمثال ٢٠٠٣ بحثا عن راوي القصة ليسلمه أمانة احتفظ بها لسنوات مجموعة قصائد لصديقه الشاعر كان قد تركها في أرض معركة الخفجي في حرب ١٩٩١. يوثق الراوي بغداد أواخر ٢٠٠٤ المنكوبة وقتها بالارهاب الدموي والاقتتال الطائفي وفوضى

المؤسسات ظاهرة اختطاف الأجانب التي شاعت في تلك الفترة" الصحفية الإيطالية جوليانا سجرينا التي اختطفت قرب جامعة بغداد ، وبعد شهر حررها خاطفوها بعد دفع فدية، الصحفية الفرنسية فلورانس أوبيناس ومرافقها العراقي والتي ظلت أكثر من سنتين تحت رحمة مختطفيها، مارغريت حسن المتزوجة من عراقي رئيسة منظمة كير الدولية في العراق اختطفت ١٩ تشرين الثاني ٢٠٠٤ وقتلت بعد شهر من ذلك"([٢٠]) "، وتحدث الراوي كذلك عن هجرة المسيحيين والاقتتال الطائفي والمليشيات المسلحة ومافيا العقارات وغيرها من مظاهر الفوضى التي شهدتها بغداد تلك السنوات.

يمتزج مصير الضابط الأمريكي الأسود الذي كان يلقب (سمايل مان) لابتسامته المشعة والتي اختفت بعد حادثة دفن الجنود أحياءً بمصائر شخصيات الرواية ويلقون مصرعهم جميعهم في دوامة القتل المجاني الذي تقف خلفه قوى ظلامية عالمية وأحزاب سياسية طائفية وفاسدة يُقتل الجميع بدم بارد في دوامة العنف ما عدا الراوي وظله أو صوته (هارون والي) يعيشان لأجل رواية القصة، حكاية الحرب ودخان سكائر بغداد التي يدخنها الشاعر العراقي (سلمان ماضي) وسكائر مالبورو التي يدخنها صديقه الاميركي في المعركة.

تتحدث الرواية الثانية "إثم سارة" عن تهميش النساء في المملكة العربية السعودية باستعادة التاريخ السياسي والاجتماعي للمملكة منذ العام ١٩٨٠ وهو العام الذي ولدت فيه بطلة الرواية سارة من المنطقة الشرقية مدينة الخبر، ونشبت في السنة نفسها الحرب العراقية –الإيرانية بوصفها بداية عصر الصراعات في منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط اللذين لم تغادرهما الحرب منذ وقتها وبداية تاريخ آخر للسعودية التي لم تعد دولة الوفرة النفطية والمقدسات الإسلامية وإنما أصبحت دولة طائفية بتبنيها لخطاب شيوخ الفتنة والتكفير وصانعة للأزمات في المنطقة تزامنا مع نشوء الجماعات الإسلامية المتطرفة وتواجد القواعد العسكرية الأميركية في الخليج، لنقرأ ما كتبه الراوي وهو يتحدث عن تأسيس الصحوات في المملكة" الصحوات تلك المجالس التثقيفية التي أسست في ربيع ١٩٨٠ والتي لم تكن جوابا على الدعايات المعادية الخمينية والثورة الإيرانية فقط بل حملت على عاتقها في المقام الأول اقناع الشباب للالتحاق بحركة المجاهدين أو ما أطلق عليهم آنذاك العرب الأفغان"([٢١]). أصل عائلة سارة من البدو" إن بيت الجاسي ينحدرون من أنبل ممثلي الجنس البشري لأنهم كانوا رعاة

إبل في القديم، يتفوقون حتى على الحضر واشباه البدو، كانوا أبطالا قال لها وكان العمل الوحيد اللائق بهم هو الغزو وتربية الابل والقوافل وأحيانا التجارة، ثم روى لها، كيف أن جده ذبح أحد أبنائه لأنه ولكسله فضل أن يتحول من راعي ابل إلى راع غنم".([٢٢]). إن الباحث في تاريخ المملكة سيجد مبررات وعوامل كثيرة تربط بين ماضيها القبلي وحاضرها الذي في ظاهره حداثي وحقيقته مخالفة لذلك.

والد سارة (غازي الجاسي) رجل ثري يعمل مقاول تجهيز أغذية وبضائع للقاعدة الأمريكية في منطقة الظهران، وهو أب عطوف على ابنته لكنه وفي الوقت ذاته من الشخصيات الذكورية السعودية المأزومة ،فالجاسي يقيم علاقات طيبة مع الأمريكان بحكم عمله مع أنه في داخله أسير للبداوة الاجتماعية المنغلقة على نفسها فهو يرفض الاخر شريكه في الوطن متمثلا بالمخالف المذهبي والعرقي والعمالة العربية. أم سارة من منطقة القصيم تعرضت في صباها لضرب مبرح في الشارع بعدما تعرض لها رجل من الذين يسمون" المطوعين" ليس لأنها تلبس عباءة من الحرير فقط([٢٣])، لم تنمح ذكرى هذا الاعتداء من ذاكرتها حتى بعد زواجها بسنوات وانجابها للبنين والبنات، إنها ومثل الاف السعوديات كما يصفها الراوي صاحبة "قلب مريض" بفعل قسوة المجتمع البدوي خاصة المجتمع النجدي المنغلق بعكس المجتمع الحجازي الأكثر انفتاحا. امتلكت شخصية(سارة الطفلة) حيوية ومصداقية لدى القارئ كونها بدت كيانا حيا على الورق فهذه الطفلة ، الذكية، المشاكسة والمرهفة الإحساس يظهر أن تجارب ظلم النساء في المملكة التي اكتشفتها صغيرة أنضجتها سريعا وزودتها بدفاعات نفسية رافضة للإذلال وجعلت منها طفلة صغيرة بقلب امرأة جسور، وقد جاء مشهد الإثم الذي وصمت به سارة الصغيرة من قبل شيوخ المذهب الوهابي الذين جاءوا الى مدرسة البنات لتلقينهن فنون التذلل والخضوع معبرا عن مدى معاناة النساء في المملكة " طلب الشيخان منها أن تتقدم وتشرح لزميلاتها الطالبات عن الخوف الذي سرى في مسامات جلدها للدرجة التي جعلتها "تبول" لكنها بدل أن تلبي طلبهما تقدمت من الشيخ وعندما أصبحت قبالته صرخت به صرخة طويلة جعلته يقفز من مكانه مذعورا".([٢٤])

شقيق الأم يدعى" يوسف الأحمد" رجل دين سلفي متأثر بأفكار مفتي السعودية آنذاك(عبد العزيز بن باز)([٢٥]) ،عين أحد أمراء العائلة الداعمين للأفكار المتشددة خلال فترة الحرب الأفغانية وما بعدها" يوسف الأحمد" رئيسا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الظهران، الهيئة معروفة بتشددها في تطبيق الشريعة الإسلامية وفق المذهب الوهابي أما سكان (الظهران) فيطلق عليهم "الرافضة هؤلاء يا غازي قال خالها وهو يخاطب أباها أنجاس ملاعين يتلونون مثل الحرباء، على رجال الهيئة أن يستلوهم مثلما يستلون الشعرة من العجين"/٢٨. هذا الخال المتطرف هو فاعل الأحداث الرئيسي وتوجهاته الفكرية المتشددة في كل ما يخص حقوق المرأة" لباسها، نوع دراستها، قراراتها الشخصية ، قيادتها للسيارة يمثل موضوع الرواية.

لقد تسبب الخال في معاناة سارة فهو يكرهها لمجرد أنها تحب الحياة وتمقت الظلم حاول أن يلطخ سمعتها ليلة زفافها ويذلها أمام المجتمع وأساء لزوجها "ناصر" هو أحد أبناء خالها المتطرف يمقته أبوه هو الاخر لأنه رقيق القلب هادئ ومسالم ليس لديه استعداد للانخراط في الافكار والتيارات المتشددة، دفع الخال سارة وزوجها للهجرة إلى لندن هربا من ظلمه وجبروته وإثناء تواجدهما في العاصمة البريطانية وقعت أحداث تفجير برجي التجارة في أيلول ٢٠٠١ لتلاحقهما الأفكار المتطرقة المدعومة من خالها وتضطر للعودة مكرهة إلى السعودية.

قبيل عودتها تنظر في واجهة أحدى المكتبات فتقرأ عنوانا رواية" الآثام الخمس" لروائي عراقي اسمه" هارون والي" قناع المؤلف الواقعي، الرواية المذكورة تحكي القصة المقروءة نفسها وتتحدث عن نية سارة الاخذ بالثأر من خالها المتطرف.

الاعتراف الشخصي الذي ادلى به "هارون والي" المؤلف الضمني في نهاية الرواية وتحت عنوان" ملحق" دليل آخر على تواشج كتابة الذاكرة مع السيرة الذاتية حيث صرح بأن "شخصية سارة" واقعية وليست متخيلة وإنها فتاة التقاها في إحدى زيارته للمملكة ،حدثته عن معاناتها وسلمته دفتر مذكراتها ليكتب عنها" عزيزتي سارة من الجائز جدا أنني لم أنفذ رغبتك تماما فاعذريني، لم أشأ العب بالإرث الذي تركته لي، ربما جاءت القصة كاملة كما شئت"([٢٦]).

بعد عودة(سارة) لبلدها أثناء نزولها على أرض المطار تقرأ خبرا في الصحف يشير إلى أن خالها أصيب بإطلاق نار من قبل مجهولين ويتلقى العلاج في مستشفى مدينة الخبر عندها تقرر بالهام من الرواية أن تقتل خالها " باسم كل البنات المجهولات ضحاياك رددت سارة بصوت حازم وهي تتقدم نحوه بهدوء لكي أحرر نفسي إلى الأبد طالما بقي عندي نبض بالحياة"([٢٧]) .

المبحث الثاني: اسطوغرافيا المخيلة أو(الميتا رواية التاريخية) ..خصائص الشكل والبنية

اتضح من المبحث السابق أن تناص نظرية الأدب ممثلة بفن الرواية المتخيل مع اسلوبية كتابة التاريخ" الاسطوغرافيا" ينتج نوعا أدبيا آخرا له خصائص ومميزات محددة، من الممكن أن نطلق عليه" اسطوغرافيا المخيلة" أو مصطلح(الميتا رواية التاريخية) التي نظر لها النقاد الغربيين آنفا، هذا النوع من السرد قوامه "التذكر والذاكرة" نتحدث عن الذاكرة كونها نظاما ادراكيا لاسترجاع الصور والأماكن والذكريات أو التذكر الواعي لخبرة سابقة نتحدث كذلك عن الذاكرة الابداعية وهي التي يطلق عليها الذاكرة الدلالية اللفظية التي تختزن بشكل لغوي ورمزي([٢٨]).إن ما شهده الشرق الأوسط من استعمار جديد بقيادة أمريكا وما أفرزه من حروب داخلية وخارجية وإرهاب بعد احداث ١١ سبتمبر وقبل هذا التاريخ ممتدا إلى تسلط الأنظمة العسكرية الفاشية وتحكمها في مقدرات الشعوب العربية، تلك الأحداث الجسام جعلت المخيلة عاجزة عن اللحاق بفنتازيا الواقع ولذلك فإن الرواية قد تتوسل بالذاكرة والتاريخ لتواصل البقاء أو أنها تحاول اللحاق بالمتخيل التاريخي والتفوق عليه ،وهي لذلك تضع نفسها في نقطة حرجة بين رأسية التاريخ والسياسة وأفقية الفن والمخيلة، وقد تعد (رواية شارحة) ومن الممكن أن تدرج وتفوز بجوائز قد لا تخص الرواية تحديدا مثل جائزة الكتاب السياسي التي حصلت عليها الرواية، تتقاطع المخيلة السردية مع التاريخ في الغاية والوظيفة" إن التاريخ وحده يرسم ما حصل بالفعل ،إن الشكل السردي بما هو شكل يقوم بوظيفة معرفية ([٢٩]). يبحث التاريخ عن الحقيقة بينما يبحث السرد عن الانعتاق من تاريخ العنف والجنون والخروج من تجربة الزمان التاريخي إلى فضاء اللغة والقص الامنيين، ولنقل إن الرواية تبحث عن الحقيقة من داخل نظرية الخطاب عن هوية سردية وذاكرة ابداعية بينما تبحث كتابة التاريخ عن الحقيقة الموضوعية للوقائع والأحداث.

أولا: الزمن أو الزمكانية، وجهة النظر، جدل الهوية:

تبدأ رواية بغداد مارلبورو بالشكل التالي" كلما نظرت إلى جواز السفر الذي أحمله إلى الاسم الذي فيه وتاريخ الميلاد تذكرت دانييل بروكس فحتى يوم ظهوره هكذا فجأة لم أظن يوما أن حياتي ستنقلب بهذا الشكل العنيف على عقب وعلى يد رجل غريب مثله قادم من بعيد حدث ذلك قبل سبع سنوات في بغداد، وهي أصعب السنوات التي عاشتها المدينة".([٣٠])

جاءت البداية من اللحظة الانية" كلما نظرت إلى جواز السفر" فما يدركه السارد من الزمان بشقيه الزمان التاريخي" التقويم" والزمان الوجودي" النفسي" ليس إلا لحظة الانية وكل ما عداها يدخل ضمن نظام الذاكرة ونقيضها النسيان، ولذلك فإن هذا النوع من الكتابة يبتغي استشراف المستقبل بقدر ما يحبك سردية الماضي بالحاضر، هذا ما يشير إليه قوله" لم أظن يوما إن حياتي ستنقلب بهذا الشكل" يرصف الراوي عددا من أزمنة الفعل والأسماء والحروف الدالة على الإدماج بين الحاضر والماضي والمستقبل وتعبر عن حالة قلق وعدم يقين بما ستأتي به الأحداث، وتبقى الذاكرة" تذكرت دانييل بروكس" حاضرة لترتب وترمم السرد، من تلك الأزمنة والأسماء" لم أظن ،هكذا فجأة، ستنقلب، لو لم تحدث لي أنا بالذات لما صدقت أنها حدثت" هاجس قلق وعدم ثقة بالزمن يعيشه الراوي يؤكده أسلوب السرد في هذه المقطوعة هو سرد نفسي أو ما يطلق عليه(التداعي الحر) وهو أسلوب في العلاج النفسي التحليلي يبتغي الوصول إلى مخزون اللاوعي عبر التحدث بحرية عن أي شيء يرد إلى الذاكرة من دون أي فلترة أو حرج([٣١])، أسلوب التداعي الحر في السرد يستثمر لغة المرض النفسي لكنه يختلف عنها في الوظيفة لأنه أسلوب مقصود هدفه ادماج الماضي بالمستقبل وجعل اللحظة الراهنة رقيبا عليهما، الذاكرة الواعية ونقيضها النسيان أو التصدع، هوية الأنا العراقية وعلاقتها بالاخر الأميركي القادم من بعيد. لا يستمر اسلوب السرد النفسي بعد صفحات بل تدخل معترك التاريخ بالشكل التالي" في مساء ٣١ مارس اذار ما أزال أتذكر ذلك التاريخ جيدا....إنه تاريخ تأسيس الحزب الشيوعي العراقي، أتذكر ذلك التاريخ أيضا ليس لأنه ذكرى يوم زواجي قبل سبع سنوات بل لأنه اليوم الذي سيغير مجرى الحرب في العراق، ففي ذلك اليوم تناقلت الأخبار مقتل أربع مرتزقة تابعين لمنظمة بلاكووتر، هل تتذكر؟ المرتزقة الأربعة الذين ظلت جثتهم معلقة على جسر الفلوجة يومين أو

أكثر"([٣٢])، تحبك ذاكرة الراوي أحداثا وقعت في يوم ٣١ آذار ٢٠٠٤، أحدها حدث صار أرشيفا خاصا بنشوء الدولة العراقية هو تاريخ تأسيس الحزب الشيوعي العراقي، وحدث آخر يعود للماضي القريب أثر على حاضر الدولة ومستقبلها، تاريخ مثل للراوي بداية أحداث العنف والارهاب في العراق خاصة في منطقة الفلوجة ولم تتوقف تلك الأحداث وإنما استمرت وبوحشية متزايدة وأن كانت بعناوين مختلفة، اختار الراوي هذا الحدث لدلالته، كيف وصل المسلحون إلى موظفي شركة بلاكووتر الأمنية المحصنة بأحدث أجهزة التكنولوجيا؟ ولماذا ترك الأميركان مرتزقتهم معلقين أياما: حدث يثير تساؤلات عن حقيقة المهمة التي جاء بها الاخر الأميركي وماهي طبيعة التغيير الذي يريد أن يحدثه في البلد.

ليس المقطع سردا تاريخيا خالصا فهنالك أحداث تخص الرواية المتخيلة جرت في ذلك اليوم ، زواج الراوي ونسيانه لهذا التاريخ إذا تعلق هذا الحدث بتكبيل حريته الشخصية، تذكر الراوي هاجس الخوف الذي بدأ ينتابه منذ ذلك اليوم على ابن أخيه الطالب الجامعي والذي كان صديقه المقرب وأنيسه في وحدته أيام كان الخروج من البيت يمثل مجازفة خطرة بالنفس وقد قتل الشاب هو الاخر في أحد التفجيرات، تذكر أيضا جاره المسيحي(نمير) الذي نزح من بيته في ذلك اليوم بسبب تهديد المسلحين له ،جار الراوي زاره في ذلك اليوم ليخبره أن رجلا أميركا يتحدث العربية جاء يبحث عنه في نادي العلوية(نادي المقاولين والتجار).من ترى يوقف سيل الذاكرة المنهمر بتواريخ وأحداث وصور ودلالات وكيف بالإمكان التمييز بين غرائبية تاريخ وقع بالفعل وبين مخيلة سردية تنافس ذلك التاريخ وتحاول الانتصار على طغيانه؟!. أن أسلوب السرد في المقتبس ليس ذاتيا نفسيا وإنما هو سرد موضوعي تنهض به ذاكرة يقظة لكل حدث متخيل وتفاصيل تاريخية، يسرد الراوي تراجيديا العنف سردا موضوعيا مكثفا مثلما سرد واقعة دفن الجنود العراقيين وهم أحياءً في المعركة، لكنه لا يجعل قارئه مقيما في بيت الأحزان أو يسرد فيلم رعب على الطريقة الهوليودية مثلما يفعل العديد من الروائيين العراقيين عندما يكتبون عن تلك الفترة وإنما نجده في العديد من صفحات الرواية يخفف من ثقل التراجيديا باستخدام التهكم والمحاكاة الساخرة للأحداث، وهما أسلوبان أدبيان فكاهيان يشتملان على جميع أشكال الضحك في الآداب والفنون يقال أنه العلاج الوحيد لإراحة أعصاب العالم بدون تخديره"([٣٣])، يكون التهكم تارة عن طريق فكاهة الموقف مثل الكلام عن انتحار البغال على جبهة

حرب الثمانينيات " العفو سيدي ، المنتحر هناك تحت بين الأدغال،، أعجبتني كلمة المنتحر لم يقل لي الحيوان أو البغل ، المنتحر لم لا ؟ قلت لنفسي والبغال أصبحت في هذه البلاد أكثر وعيا على رفض الحرب"([٣٤])، ويكون تارة باللازمة اللغوية أو بالنكتة.

لغة السارد توثيقية ،ذاتية، واصفة للحدث والشخصية تتسم بالسخرية التي نلمح ظلالها واضحة في جميع فصول الرواية ما عدا تلك المقاطع التي يوثق فيها حدثا تاريخيا أو يصف مشهدا دراميا ،تعد السخرية استراتيجية في الكتابة السردية انتهجها المؤلف الواقعي/ الضمني في أغلب رواياته ،دلالة هذا الأسلوب الوقوف على مسافة واحدة من الايديولوجيات المتصارعة، فالكلمة الروائية كما يقول (باختين) " معبأة بالأيديولوجيا" ميزة التهكم أنه يضع مسافة بين الفكر المتبنى وتجسيده الأسلوبي من خلال تغريبه أو أسلبته" حين يقوم فنان بالتمييز الحتمي بين المادة والطريقة الموضوع والشكل، حين يحصل ذلك ويتمايز الأسلوب والموضوع على هذا النحو يصبح بوسع المرء بصورة مشروعة الحديث عن موضوعات مؤسلبة".([٣٥])

الراوي المغترب والذي تحركه من فوق خيوط المؤلف الضمني(هارون والي) من خلف الستار يكتفي بدور المراقب الحذر ولا يورط نفسه في تأييد أو مناهضة هذه الأيديولوجيا أو تلك.

استحوذ اسلوب التوثيق التاريخي على رواية" إثم سارة" بينما حضرت المخيلة على سبيل ردم الفجوات وملئ الفراغات التي تهملها أو تتغاضى عنها الوثيقة وذلك لأن السارد أو المؤلف الضمني(هارون والي) يكتب عن بيئة هي ليست بيئته العراقية كما ذكرها في روايته السابقة وشخصيات لم يقابلها ويلاحظ انفعالاتها وحركتها في الفضاء استند على مرويات سارة في كراس يومياتها فقط،([٣٦]) يأتي السرد غالبا بالشكل التالي، يتحدث الراوي عن مقاولات(غازي الجاسي) :" هو سعيد الحظ ليس بسبب ولادة ابنته هذه التي جلبت معها الحظ وحسب، بل لأنه عثر على شخص دعمه بتجارته، اللويتنانت دانييل بروكس، ابن حلال حقيقي إذ لولاه لما عرف بالمناقصة التي أعلنتها هيئة أركان الدرع قبل سنتين ، ولحسن حظه أيضا أن ذلك الإعلان جاء أولا في نهاية ١٩٨٥، بعد ثلاث سنوات تقريبا من اختيار حفر الباطن مكانا لقوات درع الجزيرة".([٣٧])، يشير الراوي ومن خلال السرد التاريخي الانف إلى أن كل من المملكة السعودية والولايات المتحدة قد بدأتا حلفا سياسيا

وعسكريا مشبوها ومنذ ثمانينيات القرن الماضي وقد جاءت حرب المقاومة الأفغانية ضد الاتحاد السوفيتي سابقا وما تمخضت عنه من تنظيمات ارهابية مسلحة مثل تنظيم القاعدة وكذلك الحرب العراقية الإيرانية –العراقية أحدى نواتج هذا الحلف، وقد تتبع الراوي بدايات هذا الحلف بالأرقام والتواريخ، فذكر أن قاعدة عبد العزيز الجوية في الظهران والتي شيدت في بداية الثمانينيات هي القاعدة الأم لجميع القواعد الأميركية في الشرق الأوسط، ،وبعدها في العام ١٩٨٥ شكلت المملكة السعودية قوات عسكرية مشتركة من دول عربية وإسلامية أطلق عليها اسم قوات درع الجزيرة.([٣٨])،وفي صفحة أخرى يتحدث الراوي عن بدايات تأسيس المملكة السعودية" كان دائما هناك غزو ونهب وسطو وقتل وإبادة وسبي واغتصاب والا أي تفاصيل ترويها قصة حروب عبد العزيز بن سعود في توحيده للمملكة غير قصص العنف والدم، ولم تطرد خوفها إلا عندما تسمع كلام أبيها وحديثه المتحمس عن ضروب الحرب وكيف أنها خلقت للرجال"([٣٩])،وجهة النظر في المقتبس تسير وفق وجهتين لغة السارد الصحفي الباحث عن حقيقة الدور الذي لعبته المملكة في تأسيس شرق أوسط جديد وفق الأهواء الأميركية، الوجهة الثانية هو الادراك أو الوعي هو وعي الفتاة السعودية سارة، فهنالك التبئير السردي من الداخل، وكأن الراوي يستدرك على السرد التاريخي الذي يبثه في روايته فيحيل كلامه إلى سارة التي أوكلته لإبلاغ القصة، يمتلك الراوي وعيها ويتحدث بلسانها كأن يقول:" مع زحمة السنوات ما عادت تتذكر اسمها لكن تتذكر قامتها الرشيقة وجهها الأسمر الجميل، تلك المعلمة الاستثنائية"([٤٠]).

نلاحظ كيف يخبر الراوي ذهنية الشخصية حتى أنه يعرف ما يمكن لها أن تتذكره في طفولتها.

أما ما يخص انماط الهوية وتحولاتها ، الراوي الذي يظهر من دون مسمى أصله من المنطقة الغربية(المكان يمنح الشخصية هويتها وليس الاسم)، سكن بغداد منذ السبعينيات(تغير المكان تبدلت الهوية) ، لا يحبذ التفكير المذهبي ولا يؤدي فروض الدين، ليس مؤدلجا لكنه يميل للفكر الشيوعي، صديقه المقرب(سلمان ماضي) شروكي/ شيعي/شيوعي كما يصفه الراوي بذلك ، احتل المسلحون بيت الراوي أثناء فترة الاحتراب الطائفي فنزح إلى مدينة العمارة في الجنوب وعاش آمنا بين أهلها(شهد نزاع الهويات الوطنية وتآلفها) بعد مرور ثلاث سنوات يقرر أن يحرر بيته من المسلحين، يرجع إلى

بغداد ،فيجد غريبا امريكا بانتظاره يريد أن يبلغه رسالة من صديق في الجيش(مواجهة الأنا والاخر)، الأميركي زنجي مهمش في بلده يعاني من التمييز العرقي ، اعتنق الإسلام بعد حادثة دفن الجنود أحياءً وتزوج من مسلمة محجبة /تونسية كانت متزوجة من صحفي عراقي عمل في وزارة خارجية النظام في التسعينيات ثم طرد من وظيفته وأصبح معارضا كلف بإدارة إذاعة المعارضة العراقية التي تبث من السعودية، يسرد لنا الراوي صفحات من تاريخ المعارضة العراقية في المنفى من خلال شخصية الصحفي(اسماعيل) ، لقد اكتشفت زوجته أنه انتهازي ويتجار بقضية أبناء جلدته طلبت الطلاق وتزوجت من الأمريكي(دانييل بروكس)، يقوم الراوي بقتل الإرهابيين الذين احتلوا بيته ولو كان مكرها، يفرح باستعادة بيته لكنه يكتشف إن قتل شقيقه المتطرف، يشعر بسخرية التاريخ ولا جدوى الحياة في بلد مثل العراق فيقرر الهجرة إلى بلاد آمنة، ومن هناك يكتب مذكراته أو روايته كما يطلق عليها، كل شخصية من شخصيات الرواية في مقدمتهم الراوي قد عاشت تحولات الهوية وعدم ثباتها، فالهويات قد **(تتناسخ)** في لحظة ما تلتقي وتحاب برغم اختلاف الأصول فالهوية القومية والعرقية مجرد افتراض صنعته ذاكرة الأمم أو الانسان؟! مثلما حصل للراوي وصديقه الأمريكي الزنجي المهمش، وكما تواشجت هوية الأمريكي مع غازي الجاسي/ السعودي وابنته سارة أو مع زوجته المسلمة التونسية، وارتبط الجنديان الشاعران العراقي (سلمان ماضي) والاميركي (دافيد باربييرو) في حرب الخليج الثانية بعلاقة صداقة عنوانها تدخين سكائر(بغداد –مارلبورو).وفي الجزء الأخير من الرواية يلتقي الراوي مع كاتبه المفضل(هارون والي) في بلاد الاغتراب ويترافقان في رحلة الى الولايات المتحدة لحضور محاكمة (برادلي ماينك) وهو أحد المتهمين بتسريب وثائق سرية على موقع ويكليس وقد حضر معهم" الألماني سيباستيان فيشير من مجلة شبيغل والصحفي والمؤرخ السويدي بيتر أنكلود"([٤١]). هؤلاء الذوات جمعتهم الهوية السردية من خلال توقهم لكتابة الحقيقة وإذاعتها بين الناس،ووصلت بين حكاياتهم الهوية الانسانية الأشمل تلك التي تجمع الباحثين عن الحقيقة والحرية والسلام في جانب وأقطاب الشر والهيمنة والاستحواذ في الجانب الاخر.

في الوقت ذاته قد تكون الهويات الفرعية القومية والمذهبية قاتلة ومدمرة لابناء الوطن الواحد وللأشقاء في العائلة الواحدة أحيانا، يقتل الراوي شقيقه الإرهابي الذي احتل بيته مثلما تقاتل الاف

العراقيين من أجل هوياتهم المذهبية ،فالإنسان قد يشعر بحاجة إلى (الانسلاخ)من هويته الأصل والدخول في هوية أخرى أقرب تمثيلا لذواتهم المتعطشة للدم أو المال كما حصل مع شخصية شقيق الراوي انموذجا لغيره من الإرهابيين، الراوي هو الاخر قد شعر بحاجته للانسلاخ عن هويته الوطنية فقرر الهجرة بعد قتله شقيقه مع أنه لم يفكر في الهجرة قبلها وكان جنديا يؤدي واجبه بإخلاص في حرب الثمانينيات والتسعينيات، تنسف دوامة العنف ثوابت الهوية إلى درجة إن القاتل والضحية قد يتبادلان المواقع والأدوار فيشعر الفرد بحاجته إلى الانسلاخ من هويته إلى أخرى بديلة أكثر استرخاءً وتسامحا." فلا تحقق الهوية إلا بالتأليف السردي حيث يتشكل الفرد والجماعة معا في هويتهما من خلال الاستغراق في السرديات والحكايات التي تصير بالنسبة لهما تأريخهما الفعلي".([٤٢])

إذا طالعنا تحولات هوية (سارة) في الرواية الثانية نكتشف امرأة مغايرة للطفلة التي أحببناها بعد أن تصبح سارة في العقد الثاني من عمرها شخصية مليئة بالتناقضات لا يتبين القارئ(ما هويتها النفسية والجسدية ؟)، فهي بالرغم من صغر سنها (١٥) سنة إلا أنها تقيم علاقة مع حائك تعاشره سرا في السوق رغبة منها في خرق الأعراف الاجتماعية لطبقتها التي تنبذ مهنة الحائك وتزدري من يعمل فيها لكنها تظل محتفظة بعذريتها فهذه قد تمثل هوية المرأة العربية وبخاصة مجتمع الجزيرة العربية، بعد ذلك يخطبها خالها لابنه شريطة أن تخضع لفحص سلامة العذرية توافق على هذا الزواج العائلي وترغب أن تمنح خالها صكا بعذريتها ولم تدرك أنه قد دبر لها مكيدة افتضاض العذرية عنوة من قبل نساء استأجرهن ذلك اليوم، وهذا ما جعلها تحقد عليه إلى درجة التفكير بقتله، وعندما تسافر مع زوجها إلى لندن يصبح جل همها هنالك أن تحافظ على علاقتهما الزوجية ،يعيش خالد هو الاخر حالة اغتراب عن مجتمعه يعبر عنها بتقمصه شخصية العالم المخترع، ويعاني اضطرابا في هويته الجنسية مما يجعله يميل عاطفيا نحو صديقه طارق ولا يشعر بالمودة تجاه سارة إلا بعد بذلها جهدا مضنيا في استمالته إليها مثل أن تغير شكلها لتكون شبيهة بصبي يعجبه" سألها ماذا لو فعلنا الأمر نفسه، فبدت كأنها لا تفهم ما يعني أعني سمعته يقول لها بصوت خافت وشفتاه ترتعشان أن نفعل كما تفعلين كل ليلة وكانت تعرف ما يعني إنه يريد منها لعب الولد معه"([٤٣]). الاغتراب المكاني في بلد مثل بريطانيا منحهما فرصة لاختبار هويتهما الجنسانية، تقمصت سارة دور صبي مخنث لا يمثلها

فعلت ذلك من أجل إرضاء زوجها والاحتفاظ به بينما الأخير قد استغرق وقتا كي يعامل زوجته كأنثى ويغادر ميوله المثلية . هوية سارة الشخصية تبدو أنها قابلة للتشكل والتغيير مع تقلبات حياتها وحاجاتها الجسدية والنفسية ومع علاقتها بالاخر الرجل/السلطة، فهي تارة المرأة التواقة للحرية والانعتاق من قيود مجتمعها ،والمرأة التقليدية المضحية من أجل استمرار حياتها الزوجية تارة أخرى، تعيش التبذير المادي المبالغ به وتظهر وكأنها سطحية عابثة غير مبالية بالكتب والأفكار أحيانا لكنها تكتب يومياتها ويصفها الراوي بأنها تملك قلم أديبة فذة، يتعاطف الراوي مع بطلته ويفسر عدم ثبات هويتها واستمرار تحولاتها الجنسانية والثقافية على أنه دليل ثراء وعمق في شخصيتها بينما وقد تكون دلالة ازدواجية في الشخصية وفصام نفسي والدليل على ذلك إقدامها على قتل خالها رغبة في الانتقام مع أنه كان يحتضر في المستشفى ويوشك على الهلاك، فهي ليست بحاجة لارتكاب هذا الفعل الذي جردها من سيمياء الأنوثة التي تغير أخطاء العالم بالرحمة والعطف والتسامح وأدرجها ضمن الفحول القتلة الذين سودوا صفحات التاريخ بالعنف والعنف المضاد ، هذا التناقض الواضح في الشخصية قد يعد جزءً من تناشز مجتمعها ونظامه السياسي الذي أسس على اضطهاد النساء أولا والأقليات المذهبية والعرقية والطبقية ثانيا. بين سارة الواقع ونظيرتها المتخيلة تستشرف رواية" إثم سارة" مستقبل النساء في السعودية وتقول بحتمية ثورتهن ضد النظام بعد عقود طويلة من الظلم والتهميش.

خاتمة:

أنضجت مدرسة التاريخ الجديد الفرنسية مفهوم " الأسطواغرافيا" والذي يعنى باستراتيجيات كتابة التاريخ وأسلوبية تدوينه وقد دعا (بول ريكور) من جانبه للإضافة الأسطوغرافيا الى نظرية الأدب مما فتح الباب واسعا لتداخل الأجناسي بين السرديات التاريخية الصرفة والمتخيل الأدبي باختلاف أنواعه(روائي، أسطوري، سيرة ذاتية، مذكرات)،وقد طبق (هايدن وايت) المصطلحات الأدبية البلاغية منها والسردية في دراسته للسرد التاريخي. وقد كرست الرواية العراقية المعاصرة تلك الافاق المعرفية في ظل ما عصف بالبلد والشرق الأوسط من أحداث متسارعة أنزلت الخيال الأدبي من ملكوته حين تفوقت فانتازيا التاريخ عليه.

تتمثل في هذا النوع من الكتابة القراءة الظاهراتية للتاريخ والإنسان والتي لا تراهن على الزمن التاريخي بقدر اهتمامها بالزمان بوصفه سيرورة وعي متصل بين ماض قوامه الذاكرة ومستقبل قوامه المخيلة تكون لحظة الكتابة رقيبا عليهما، وتهتم أيضا بلملمة جماح الهويات المختلفة ونقد تحولاتها التاريخية والبنيوية من خلال الاستغراق في الحكي وصولا إلى الهوية السردية ،هذه الهوية قوامها اللغة وعمادها نظرية الخطاب وسقفها الرواية والمرويات.

المصادر والمراجع:

١- إثم سارة ، نجم والي، دار الرافدين للنشر، الطبعة الأولى ، بيروت،٢٠١٨

٢- بغداد_ مالبورو ،نجم والي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،٢٠١٢

٣- التأريخي والميتا سردي في الرواية العربية، فاضل ثامر، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية- ناشرون، الطبعة الأولى ٢٠١٨.

٤- التاريخ والذاكرة ، جاك لوغوف، ترجمة جمال شحيد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠١٧.

٥- التهكم بين الهزء والجد، عادل العوا، دار الحصاد، دمشق، الطبعة الثانية،٢٠١٧.

٦- الذاكرة في الفلسفة والأدب، ميري ورنوك، ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة الطبعة الأولى،٢٠٠٧.

٧- الذاكرة في مشغل السرد، مجموعة دراسات ،مؤتمر السرد الأول ،كلية الاداب، الجامعة المستنصرية،٢٠١٦ .

٨- الذاكرة، التاريخ ، النسيان، بول ريكور، ترجمة جورج زينتاني، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى،٢٠١١.

٩- ضد التأويل ومقالات أخرى ، سوزان سونتاغ، ترجمة نهلة بيضون، المنظمة العربية للترجمة ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٨.

١٠-سيكولوجية الذاكرة قضايا واتجاهات حديثة، محمد قاسم عبد الله، سلسلة عالم المعرفة،الكويت،٢٠٠٣.

١١-من النص إلى الفعل، ابحاث التأويل، بول ريكور، ترجمة محمد برادة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،٢٠٠٧.

١٢ -الهوية والسرد، بول ريكور، تأليف حاتم الورفلي،دار التنوير للطباعة والنشر،الطبعة الأولى ،٢٠٠٩.

الهوامش

[١] – ينظر التاريخ والذاكرة ،جاك لوغوف، ت: جمال شحيد،٤٠.

[٢] –شبكة الانترنت، مصطلح الأسطوغرافيا

[٣] –التاريخ والذاكرة، جاك لوكوف،١٩.

[٤] –من النص إلى الفعل "بول ريكور، أبحاث التأويل ،ترجمة ،محمد برادة، حسان بورقية،١٠.

[٥] – فرانسوا دوس، حوار معه على الشبكة الألكترونية.

[٦] –من كتاب" التأريخي والميتا سردي" في الرواية العربية، فاضل ثامر،١٨.

[٧] –التاريخ والذاكرة،١٩٣.

[٨] – التاريخ والذاكرة،١٧٩.

[٩] –الشفاهية والكتابية، والتر ج أونج، ت: حسن البنا عز الدين،٣٦.

[١٠] –ويكليس منظمة دولية غير ربحية تنشر تقارير وسائل الاعلام الخاصة والسرية من مصادر صحفية وتسريبات اخبارية مجهولة ،مديرها يدعى(جوليان اسانج) لقد سرب موقع ويكليكس في أكتوبر ٢٠١٠ ،٤٠٠٠٠٠ وثيقة فيما يسمى سجلات حرب العراق بالتنسيق مع المؤسسات الاعلامية الكبرى،وقد ذكرت تلك التقارير في الرواية في الصفحات ٣٥٤، ٣٥٥.

[١١] –التاريخ والذاكرة،١٠١.

[١٢] –ينظر التاريخ والذاكرة،١٠٣.

[١٣] –رواية بغداد مارلبورو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط٢٠١٢،١.

[١٤] –ينظر البحث المعنون اليات التشكيل السردي لذاكرة عماريا في رواية (ملائكة الجنوب)، المشارك في مؤتمر السرد الأول، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية،٢٠١٦،كتاب "الذاكرة في مشغل السرد،١٨٣.

[١٥] –ينظر الهوية والسرد عند بول ريكور، حاتم الورفلي،٣٥.

[١٦] –رواية بغداد –مالبورو

[١٧] –الرواية،٢٢٦.

[١٨] –دور الذاكرة في بناء السيرة الذاتية، لؤي حمزة عباس، سلسلة بحوث الذاكرة في مشغل السرد،٧.

[١٩] –الرواية،٣٩.

[٢٠] –الرواية،٢٨٩،٢٥٨.

[٢١] –رواية إثم سارة،٦٧.

[٢٢] –الرواية،١٣٧

[٢٣] –ينظر الرواية،٧٧.

[٢٤] –الرواية،٤٨.

[٢٥] – (عبد العزيز بن باز) مفتي السعودية شغل منصب مفتي السعودية ورئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ عام ١٩٩١ وحتى وفاته ١٩٩٩ وهو من فقهاء السلفية ،ويكبيديا الموسوعة الحرة

[٢٦] –الرواية/٢٥٠.

[٢٧] –الرواية/١٦.

[٢٨] –ينظر سايكولوجية الذاكرة، محمد قاسم عبد الله،٣٨.

[٢٩] –الذاكرة ، التاريخ ،النسيان، بول ريكور، ترجمة جورج زينتاني،٣٤٦.

[٣٠] –الرواية،٦٢.

[٣١] –ينظر أساسيات علم النفس، د: فاطمة عبد الرحيم النوايسة،٤٤.

[٣٢] – الرواية،١٨/١٩.

[٣٣] – ينظر التهكم بين الهزء والجد، تأليف د عادل العوا،١٠.

[٣٤] –الرواية، ٣٦.

[٣٥] –ضد التأويل ومقالات أخرى، سوزان سونتاغ، ترجمة نهلة بيضون،٣٨.

[٣٦] –ذكر لي الروائي نجم والي في حوار شخصي عندما قابلته معرض بغداد الدولي للكتاب ٢٠١٨" إن دفتر يوميات الفتاة السعودية التي قابلها حينما زار السعودية سنة ٢٠١٠ حقيقة واقعة وليس جزءً من المتخيل الروائي وأنه ما زال يحتفظ بتلك اليوميات في مكتبته ببرلين".

[٣٧] –الرواية،٨٧،

[٣٨] –ينظر الرواية،٧٥–٨٢.

[٣٩] –الرواية،١٠٤.

[٤٠] –الرواية،٥٢.

[٤١] –الرواية،٤٥٦.

[٤٢] –الهوية والسرد،٣٥.

[٤٣] – اثم سارة،١٩٢